مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

الدور الحضاري للإنسان مابين بديع الزمان سعيد النورسي ومالك بن نبي ضمن محرك التغيير الاجتماعي

The civilized role of the human being between Said Nursî and Malik bin Nabi within the engine of social change

أبو طالب أسماء[1]،الأخضر شريط[2]

1.جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله asmaaboutaleb47@gmail.com
2.جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله cheriet1958@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/05/10 تاريخ القبول: 2021/02/20

ملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى إلقاء الضوء على نقطة محورية تتمثل في دور الإنسان في إرساء معالم النهضة والتغيير لدى كل من بديع الزمان سعيد النورسي ومالك بن نبي من خلال الدور الفعال الذي يقوم به الإنسان فكريا وعمليا فهو محور التطور في شتى الميادين وجوهر العملية الحضارية، فالنظر في الإنسان وتوجيهه الوجهة الصحيحة كفيل بمواكبة ركب التطور فهو محور الحضارة والإمكان الحضاري لكل مجتمع إنما يرتبط بالإرادة الحضارية والكيفيات وشروط الانطلاق فلقد شكل مفهوم الإنسان حجر الزاوية في أي مذهب فلسفي، ولاشك أن الإنسان يمثل بالنسبة لذاته مشكلة كبيرة، تزداد أهميتها وخطورتها في الوقت الحاضر عن أي وقت مضى من التاريخ فما يعاني منه المجتمع الإسلامي اليوم هو لا محالة نتيجة لما وصل إليه الإنسان المسلم المنتمي لهذا المجتمع من فشل وجمود لذا يتوجب عليه العمل على التغيير والتطوير والمساهمة الفعالة في بناء الحضارة من أجل بعث روح التجديد وفكرة الاستقلالية لابد من إيجاد آليات وإستراتيجية لذلك، بعد عملية الفحص

المؤلف المرسل: أبو طالب أسماء: asmaaboutaleb47@gmail.com

الجيد لمعرفة الأسباب الحقيقية لهذه الظواهر المرضية بحيث يأخذ الفكر مكانة في توجيه طاقته نحو صناعة متميزة غايتها الإنسان بذاته.

الكلمات الدالة : الإنسان، الحضارة، النورسي، مالك بن نبي، التغيير الاجتماعي.

Abstract:

This research paper seeks to shed light on a pivotal point represented in the human role in establishing the features of renaissance and change in both Badi al-Zaman Saeed Al-Nursi and Malik bin Nabi through the effective role that humans play intellectually and practically as it is the focus of development in various fields and the essence of the civilization process. In the human being and directing him to the right direction is a guarantor of keeping pace with the pace of development, as he is the axis of civilization and the civilization potential of every society, but it is related to the civilization will, the qualities and the conditions for launching. The concept of man has formed the cornerstone of any philosophical doctrine There is no doubt that the human being to himself represents a big problem, whose importance and danger increases at the present time than at any time in history. What the Islamic community suffers today is inevitably a result of the failure and stagnation reached by the Muslim human belonging to this community, so he must work on change, development and contribution. Effective in building civilization in order to revive the spirit of innovation and the idea of independence, there must be mechanisms and a strategy for that, after a good examination process to know the true causes of these pathological phenomena so that the thought takes a place in directing its energy towards a distinct industry whose goal is man himself.

Key words: human, civilization, Said Al-Nursi, Malek Bin Nabi, social change .

- مقدمة :1

تعيش المجتمعات الإسلامية اليوم حالات من الركود والتقهقر في أغلب مجالات الحياة،ويرجع السبب الأساسي إلى الإنسان في حد ذاته الذي لم يؤد دوره في حركية المجتمع كما ينبغي، إذ أصابته أمراض اجتماعية عديدة ولما كانت لديه القابلية للحالة التي وصل إليها فلم يتسنى له الخروج والنجاة من هذا الوضع المتأزم . لكن بالمقابل ،ومن أجل معالجة ذلك الإنسان المريض من هذه العلل قاما بديع الزمان النورسي ومالك بن نبي من خلال ما قدماه للمجتمع في المساهمة في بناء الحضارة فالمتفحص في كتابات بديع الزمان سعيد النورسي ومالك بن نبي نجدهما يثبتان أهمية الإنسان في بناء الحضارة، ويبرزان دوره كفاعل ومؤثر رئيسي لا كتابع وفرع ثانوي محض ذلك أن الإنسان هو الهدف الأول والأخير في كل نشاط فكري واجتماعي، فالتفكير في مشكلة صناعة الإنسان إنما هو تفكير في مشكلة الحضارة بناءا وتشييدا.ومن أجل استغلال ذلك الإنسان وبعث فيه روح مبادرة التجديد وفكرة الاستقلالية ،كان لا بد من إيجاد إستراتيجية وآليات لذلك، فبعد عملية الفحص الجيد لمعرفة الأسباب الحقيقية لهذه الظواهر المرضية، وضعا برنامج تربوي إصلاحي يستطيع من خلاله الإنسان القيام بجهد من جديد ليساهم بفاعلية وجدية في بناء الحضارة بشرط أن يبدأ بنفسه أي يغير ما بها والغاية من التغيير الاجتماعي هو القضاء على التبعية والانهيار بغية بناء حضارة لكن لتحقيق ذلك يشترط تحديد الداء الذي أصاب نفسية المسلم وثقافته وسلوكه أولا ثم العمل على القضاء على الأمراض والآفات والتصدي للعوائق التي تقف في وجه ذلك التغيير و المتمثلة في سلوك الإنسان المسلم السلبية وفي ثقافته المريضة .وهذا ما دفعنا بلهفة مشرقة وحيرة محدقة إلى التساؤل : كيف عبر كل من النورسي ومالك بن نبي عن الإنسان؟ وكيف تجلت نظرتهما له؟ وما المكانة التي احتلها الإنسان في فكرهما كفاعل مؤثر ؟ وهل استطاعا أن يسلطا الضوء على الإنسان ويعطيه مكانته التي ينطلق من خلالها ليقيم صرح التطور والتقدم لنفسه ولمجتمعه ؟ وهل يكفي الإنسان وحده كعنصر منفصل في بناء الحضارة؟.

2. - مفهوم الإنسان في فكر النورسي ومالك بن نبي :

1.2. الإنسان في فكر بديع الزمان النورسي :

،إن الإنسان هو جوهر العملية الحضارية فلقد أولى النورسي(□) اهتماما كبيرا به خاصة وأنه العنصر الديناميكي والفاعل لتحقيق الغاية المنشودة ،فالإنسان مخلوق مكرم ولم يحظ مخلوق أخر بمثل ماحظي به في البيان القرآني من تفضيل في نشأة خلقه وطبيعته وما تضمنته طبيعته من حقائق وأسرار قال تعالى:"لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم". (بر)

ولقد جاء طرح النورسي لقضية الإنسان على خلفية التحدي الذي كان يعيشه إبان الغزو الفكري والثقافي الذي واجه المجتمع الإسلامي في تركيا بعد سقوط الخلافة ،فانبرى يواجه مبادئ الفلسفة الغربية التي عمدت على تجسيد وتكريس مفهوم مادية الإنسان ،ولم تميز بينه وبين أدنى الحيوانات الثديية فهي تجري تجارب على سلوك الفئران والقرود ولا مانع من أن تعمم نتائج تلك التجارب على الإنسان، وهذا أكبر خرق لقانون التكريم ويعد اعتداءا صارحا على الكرامة الإنسانية.

فالحضارة الغربية أرهقت الإنسان روحيا وخلقيا وألهته وشغلته بجني المال وبمظاهر العلم وإنتاجه البراق ، ومن أجل ذلك أكد النورسي بأن الحضارة الغربية لم توفر السعادة المادية وظل أبناء هذه الحضارة يئن من جراحاتها وآلامها لأنها لم توقر الإنسان، ولم تحترم كينونته فمحقت كيانه الروحي وجعلته قائم على أساس مادي في الطبيعة، فلقد وصف النورسي الإنسان الغربي بأنه لما انقلب باطنه على ظاهره لوجد الخيال تجاهه صور ذئاب وقردة وخنازير.

وعلى هذه الخلفية قام النورسي يبين مظاهر تكريم الله للإنسان في ضوء البيان القرآني وبذلك سوف يكشف لنا عن حقيقة الإنسان وطبيعته .

فما هي طبيعة الإنسان في فكر النورسي ؟

إن الإنسان في فكر بديع الزمان ليس مخلوقا عاديا وحسب، ولا هو حتى مخلوق أرضي وحسب، بل هو أبعد من ذلك وأعظم. إنه مخلوق كوني، أي إن الماهية الوجودية للإنسان هي ماهية كونية كبرى.

بمعنى أن فهم هذا الكائن لا يمكن تناوله، ولا استيعابه بحصره في مركز إقامته الأرض. وإنما الواجب ربط وجوده بوجود الكون كله! ذلك أن أول باب من أبواب الدخول إلى الماهية الإنسانية هو باب العلة الخلقية، أو الوجودية. بمعنى أن نتساءل: ما علة وجود الإنسان أصلا؟ من هنا يمكن أن يتحدد مجال الوجود الإنساني، وفهم ماهيته الكونية.فإذا كان القرآن الكريم الذي هو المصدر الأول والأساس لمنظومة النورسي الفكرية؛ يحدثنا عن قضية "الاستخلاف" الرباني للإنسان قبل قصة خلقه؛ فلا يكون خلق آدم عليه السلام؛ إلا من بعد ما قدرت له وظيفته الكونية؛ ذلك أن قول الله - عز وجل (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً).[تر] واقع قبل خلق آدم - عليه السلام لأن القرآن يقص علينا أن هذا الإخبار كان قبل ذلك، كما في سورة "ص". قال تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَه سَاجِدِينَ).[يى]، وقال - عز وجل - في بيان علة الخلق: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّام وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)[سم]. إن معنى ذلك عند الأستاذ سعيد النورسي إذن؛ أن الوجود الإنساني كله، حتى في أدق تفاصيله، لا يمكن فهمه إلاّ من خلال هذا المنظور الكوني للإنسان! وهذا هو الجديد الذي يمكن أن نزعم أن بديع الزمان قد تقدم به كمفتاح لفهم: **ما الإنسان؟** على سبيل التفسير التدبري للقرآن الكريم، والقراءة الكونية لآياته.

ومن هنا أيضا يمكن القول: إن بديع الزمان قد جاء بمفهوم قرآني للإنسان، فبنى عليه -تقريبا - كل نظرياته النورية للكون والحياة والمصير.

إن الدارس لمصطلح "الإنسان" لدى بديع الزمان يجد أنه بإزاء "مفهوم كوني". هذا المفهوم الذي يمكن إجماله في حدّ كلي، نركّبه -من خلال استقراء نصوص كليات رسائل النور - تركيبا مبنيا على استقصاء كل الأبعاد الوجودية لـ"الإنسان"، كما يراها بديع الزمان. فلندخل إذن إلى هذا العالم المفهومي العجيب، من خلال ما دأبنا عليه من منهجية مصطلحية، وذلك كما يلي:

أولا: التعريف:

أ - في اللغة:

يرجع أصل استعمال مادة "أنس" في اللغة إلى معنى الظهور، والاقتراب، والألفة، وعدم التوحش. والراجح أن عنه تفرعت سائر المعاني لهذه المادة اللغوية. وذلك ما ذهب إليه أغلب المعاجم. قال ابن فارس: "الهمزة والنون والسين: أصل واحد، وهو ظهور الشيء. وكل شيء خالف طريقة التوحش. قالوا: الإنس خلاف الجن؛ وسموا بذلك لظهورهم. يقال: آنست الشيء: إذا رأيته. قال الله تعالى: (فَإِنْ آنَسْتُم مِنْهُمْ رُشْدًا). ويقال: آنست الشيءَ: إذا سمعته وهذا مستعار من الأول. والأُنس: أُنس الإنسان بالشيء إذا لم يستوحش منه"(1)

فقد روي عن ابن عباس. قال صاحب اللسان: "وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: إنما سمي الإنسان إنسانا؛ لأنه عُهِد إليه فنسي (...) وقيل للإنس إنسٌ؛ لأنهم يؤنسون أي يبصَرون، كما قيل للجن جنٌ؛ لأنهم لا يؤنسون، أي لا يبصَرون".(2) وأيا كان الأصل في المفهوم اللغوي "للإنسان"؛ فإنه يجمع هذه المعاني كلها، من حيث هو مخلوق اجتماعي، يعيش في مجتمع من جنسه، ويقوم بعضه ببعض، ويألف ويؤلف، وينسى ويتذكر. ومن هنا جاءت الرسالات السماوية للإنسان، تثرى؛ قصد تذكيره دائما بحقيقته الوجودية، ووظيفته الكونية.

ب - في الاصطلاح:

وأما في اصطلاح بديع الزمان؛ فـ"**الإنسان**":

هو ثمرة شجرة الخلق، والفهرست الكوني الجامع، العاكس الأكمل للأسماء الحسنى، الساعي لتحقيق رغبة البقاء الكامنة في فطرته، المشاهد عبودية الكائنات باستخلافه في الأرض؛ عبادةً كليةً لله الواحد الأحد.قال بديع الزمان: "إن الإنسان ثمرة شجرة الخلقة، فهو كالثمرة أبعد شيء عن البذرة، وأجمع لخصائص الكل"، (1) ويرى النورسي في مخلوقية الإنسان ذروة الإعجاز الذي شاء الله أن يجسد من خلاله قدرته ومطلقيته؛ إذ الإنسان هو تاج الوجود وكل ما أبدعه الله من أكوان ونعم وأفضال أنما هي لفائدته ولتكريمه وباعتباره المرآة العاكسة وله وظيفة فاعلية حضارية.ويقول رحمه الله: «إن الإنسان هو

الثمرة النهائية لشجرة الخلقة ومن المعلوم أن الثمرة هي أبعد أجزاء الشجرة وأجمعها وألطفها ’لذا فالإنسان ثمرة العالم ’وأجمع وأبدع مصنوعات القدرة الإلهية وأكثرها عجزا وضعفا ولطفا ’بل إن الإنسان –كما يراه الأستاذ النورسي -هو فهرس للكون العظيم ونسخة جامعة لما في الوجود من خواص حتى يشعره الحق سبحانه وتعالى جميع أسمائه الحسنى المتجلية بما أودع في نفس الإنسان من مزايا جامعة» . فوجوده الحقيقي ليس إلا في تأديته إلى ما يدل عليه من المعاني ويرمز إليه من الأبعاد وبذلك فإن حديث الإسلام عن الإنسان يبرزه مخلوقا مكرما مؤهلا لصناعة الحضارة ويدعوه إلى أن يلتفت إلى مؤهلاته ووظيفته كي يبني الحضارة فالإنسان طراز خاص بين المخلوقات استخلفه الله في الأرض وبذلك فنجد عدة آيات تحيل الإنسان إلى العقل قال تعالى"أفلا تعقلون" فالقرآن يحوي أمورا متنوعة في مساحة واسعة وفيه مطلوب كل قاصد ،فلا غناء عنه في حل كل معضلة وتلبية كل حاجة ولقد وهب الله تعالى له العقل ليستقيم له تحصيل هذه الغاية ، فالإنسان قبل أن يسري ماء القرآن في عروقه وكيانه يكون ميتا بصريح القرآن "فيا أيها الإنسان الذي ذاته إنسانا اقرأ ذاتك وإلا قد تكون إنسانا في حكم الحيوان والجماد".

فلا نجد في العلم الموضوعي ما ينفي قط أن الإنسان أيا تكن خلقته الأولى جدير بالتكريم والرفعة ،وهو المخلوق الوحيد الذي سما بعقله وروحه إلى ما يشبه المعجزات، ويكفي أن يكون هو الذي حطم الذرة وعرف أسرارها وبدأ يطلق طاقتها ،وان يكون هو مبدع كل فن والقادر على إنشاء حضارات التاريخ المادي منها والروحي سواء .

أما فيما يخص مسألة غرائز الإنسان فقد انساق داروين بطبيعة بثه في أجسام المخلوقات وتطورها فكان من الطبيعي أن يشاهد الشبه العظيم بين الإنسان وأسلافه من الحيوانات العليا وجرته حماسته لنظريته أن يعتقد بأن التشابه في وظائف الجسم وأعضائه لابد أن يؤدي إلى التشابه في الوظائف النفسية أو التركيب النفسي بين الحيوان والإنسان.(□)

ويرى جوليان هكسلي أن الكائنات الحية الموجودة متساوية القيمة وإن فكرة التقدم ليست إلا فكرة إنسانية ،ومن المسلم به في الوقت الحاضر أن الإنسان سيد

المخلوقات ، فيحدد هكسلي بدقة مركز الإنسان في نظر علم الحياة المعاصر فيقول:"لقد أصبح الإنسان بعد القضاء على النظم الدينية والخلقية والسياسية القديمة يحتاج حاجة ملحة إلى نظام للقيم ،والمثل العليا الأمر الذي دفعه إلى إعادة البحث بدقة أكثر في مركزه البيولوجي، "اجل! إن الإنسان لم يعد في وسعه ، بعد نظرية داروين وذيوعها الحاسم الذي يجعل العلماء يقرون باستمرار العالم الحي وصدور الأنواع الحيوانية والنباتية بعضها عن بعض ،لم يعد في وسعه تجنب اعتبار نفسه حيوانا غريبا جدا وفي حالات كثيرة لا مثيل له و لا يزال تحليل تفرد الإنسان من الناحية البيولوجية غير تام ،ذلك أن له خواص فذة أعظمها وضوحا هو قدرته على التفكير أو استخدامه الكلام الواضح ،والكلمات عبارة عن أدوات تصور الآراء عن خبرة ما .وهذا ما جعله يحتل مركز السيادة بين سائر الكائنات الحية فالإنسان هو النوع الوحيد الذي يستحق هذا اللقب وبذلك يصنع علم الحياة ،الإنسان في مركز مماثل لما أنعم به عليه كسيد المخلوقات كما تقول الأديان وأن خاصيته الجوهرية باعتباره كائنا حيا مسيطرا هي التفكير المعنوي(□□)

وعليه فإن النظرة الحيوانية للإنسان حتى وإن كان يصلح تطبيقها في علم الحياة فمن الخطأ أن تطبق كما هي في علم النفس لأنها تؤدي إلى نتائج ابعد ما تكون عن الصواب (□□) ومنه فيمكن القول بأن التقدم الذي حققه الإنسان كان من نتائج التطور الثانوية النادرة المتقطعة ولكن في وسع الإنسان إن يكن هو الصورة الأساسية لتطوره المقبل ولتوجيه طريقه بالنسبة لهدف مقصود .

غير أن عليه "ألا يخاف تفرده فقد يكون في هذا العالم المترامي الأطراف كائنات أخرى انعم الله عليها بالعقل ،والعزم والطموح إلا أننا لا نعرف عنها شيئا وكل ما نعلم أن للإنسان عقلا وشخصية لا نظير لهما ،وأنهما أرقى ماأنتجه التطور حتى الآن. "(بر□)

فالإنسان يحتل موقعا هاما إذ يمثل المحرك الأول في العملية الحضارية فهو كرأس مال الحضارة فلا تقوم الحضارة إلا إذا شرع هذا الإنسان في بنائها وكلما أحكمت قواعد هذا البناء وتجسد في الواقع مشروعه انتفع الإنسان بعطاء حضارته ولقي مكانته في الوجود والتاريخ وعلى حسب المرحلة التاريخية التي تمر

بها الحضارة يكون الإنسان ،ويكون حظه منها فإذا كانت الحضارة في أوج قوتها يكون الإنسان على صورتها فعالا مبدعا ويكون حظه أوفر، وإذا آلت إلى الانحدار آل الإنسان بدوره إلى الخمول والكسل وتضاءل حظه ومن هنا يعد الإنسان نتاجا للحضارة.ومن هنا ينطلق النورسي رحمه الله مجتهدا من أجل إحياء روح الاجتهاد في الأمة من جهتين :من جهة اكتشاف أنوار الوحي المتجددة عبر الزمان والمكان ومن جهة التنبيه إلى أن الكون أيضا محل للنظر والاستنباط لأن له شريعة ينتظم بها سيره وعليه فإن منطلق بناء الحضارة عند النورسي :فهم الشريعة التكليفية وحسن العمل بها وفهم الشريعة الكونية وحسن الإفادة منها والعمل بمقتضاها .ولا يستغنى بالواحد عن الآخر في مجال العمران والحضارة والمدنية فهذان النوعان من الشريعة أقام عليهما النورسي منهجه الحضاري.

2.2:الإنسان في فكر مالك بن نبي :

إن الاهتمام الكبير الذي شغل مالك بن نبي هو الإنسان في صورته الفردية والاجتماعية،ولاشك في أن نزعة الإنسان نحو المجتمع ،إنما تكمن في تلبية الحاجات المتعددة التي يصعب على الفرد الواحد اقتناؤها بمفرده ،وهذا القصور يدفع الناس إلى الاجتماع والتعاون وبمجرد الاجتماع تحدث اللغة ،وتتحدد القيم والقواعد التي تضبط العلاقات الاجتماعية وقد انتهى مالك بن نبي بعد تأمله في التاريخ الإنساني والإسلامي إلى آراء وأفكار في الحضارة في التاريخ و في السلوك الاجتماعي.

والحضارة باعتبارها نتاج إنساني هي من الشروط اللازمة لأي تجمع بشري يحلم بالحركة والتطور، بعيدا عن التجمعات البدائية التي سادها شريعة الغاب والتي كانت تتنافى مع ما يحقق إنسانية الإنسان ولهذا يقول بن نبي:«إنني أؤمن بالحضارة على أنها حماية للإنسان لأنها تضع حاجزا بينه وبين الهمجية ». تر فاعتبر مالك بن نبي أن الإنسان هو الذي يحدد القيمة الاجتماعية من خلال حركته فحركة الإنسان تؤدي إلى ازدهار الحضارة في المجتمع ،إذ كثيرا ما نجد مجتمعات تزخر بوجود نشاط الإنسان، وهذه الحركة تظهر في المجتمع من خلال ثلاثة مؤثرات: الفكر والعمل والمال وفي الجانب الآخر كثيرا ما نجد مجتمعات ساكنة ناتجة عن سكون حركة

الإنسان ،مما يؤدي إلى الجمود وإسدال الظلمات على ذلك المجتمع ومن خلال ذلك :(فالإنسان إذ هو المحور والشرط الأساسي لكل حضارة وأن الحضارة ، تؤكد دائما الشرط الإنساني فالإنسان إذا محور الفعالية في حركة الحضارة .فعليه مدار الاختيار وعطاؤه في إطار حضارته –وبالتالي في حضارة الإنسانية ككل –محدد بالعقل الفكري والتكوين الثقافي المتأصلين في بيئته الحضارية

فالإنسان هو العنصر الديناميكي في إنتاج الحضارة ،فكان لابد عليه أن لا يدخل العمليات الاجتماعية بوصفه مادة خاما ،بل يدخل بوصفه معادلة شخصية صاغها التاريخ ،وأودع فيها خلاصة تجارب سابقة وعادات ثابتة وعليه فلا يكفي أن ننظر للمستقبل نظرة مجردة لأن الإنسان جهاز دقيق أدق من كل شئ تتصوره في الميكانيكا الدقيقة ،ولكنه جهاز تخضع حركاته إلى قانون صاغه ماضي أمته وثقافته ،ولابد من نظرة إلى ماضي هذا الجهاز لنعرف مدى فعاليته وصلاحيته في العمليات الاجتماعية والمشروعات المخططة القائمة عليه وهذا يتطلب منا الإجابة عن السؤال التالي :أين تكمن مواطن الضعف والقوة لدى الإنسان بصورة خاصة والمجتمع بصورة عامة ؟ ير□

وعليه فإن «الحضارة في مفهوم مالك بن نبي يصنعها تاريخ الإنسان ،أي تاريخ الفكرعلى جانب ما تزوده الطبيعة بالطاقات ،التي تعمل على تكييفها نحو أهداف محددة لأن المادة في رأييه لا تعطي شيئا إلا إذا استثمرت وفق مخطط عقلاني ومنهجية دقيقة، ثم أن الحضارة رقي وحركة ونمو نحو الأفضل ،ولكن هذه الحركة والسيرورة لن تتحقق إلا وفق الانسجـــام بين الفكر وبين الطاقات المتوفرة . هذا وإذا كان التاريخ هو الذي يصنع المجتمع ،فإن صناعة التاريخ تتم طبقا لتأثير طوائف اجتماعية ثلاثة :

أ - تأثير عالم الأشخاص

ب - تأثير عالم الأفكار

ت - تأثير عالم الأشياء

لكن هذه العوالم الثلاثة لا تعمل متفرقة ،بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقا لنماذج إيديولوجية من عالم الأفكار ،يتم تنفيذها بوسائل من عالم

الأشياء، من أجل غاية يحددها عالم الأشخاص...وكما أن وحدة هذا العمل التاريخي ضرورة فإن توافق هذه الوحدة مع الغاية منها ،وهي التي تنسجم في صورة "حضارة "يعد ضرورة أيضا» .[سم] وهذا الشرط يستلزم كنتيجة منطقية وجود عالم رابع هو مجموع العلاقات الاجتماعية الضرورية .أو ما يطلق عليه" **شبكة العلاقات الاجتماعية** "،وبذلك فإن المجتمع ليس مجرد كمية من الأفراد وإنما هو اشتراك هؤلاء الأفراد في اتجاه واحد للقيام بوظيفة معينة ذات غاية، وبمعنى آخر فإن عمل المجتمع ليس مجرد اتفاق عفوي بين الأشخاص و الأفكار و الأشياء بل هو تركيب وثمرة الانسجام بين هذه العوالم الاجتماعية الثلاثة ؛بحيث يحقق ناتج هذا التركيب في اتجاهه ومداه تغيير وجوه الحياة أي تطور هذا المجتمع .[]

ومنه فالنسيج الاجتماعي الذي يشير إليه مالك بن نبي إنما يقوم على التوازن بين الحياة المادية والمعنوية ،وفي هذا الالتزام بالإسلام الذي ترفض أحكامه اعتزال المجتمع والتخلي عن المادة ،كما يرفض الإسلام أن يكون الإنسان عبدا للأشياء. واذا ما انتقلنا إلى المعادلة الرياضية ،نجد أن بن نبي يقول بأن الحضارة تساوي "إنسان وتراب وزمن" ولم يقل الوقت لأن الوقت محطة قليلة من الزمن لأن أساسا المرحلة تحتاج إلى وقت طويل والتراب كان يقصد به الثروة لكن هو ركز على الإنسان .

لذلك إذا أردنا أن نطلق مشروعا حضاريا لابد أن نوجه الاهتمام إلى الإنسان من أجل أن نعرف بأن الهوية الثقافية وهذه ركز عليها مالك بن نبي ،الهوية الثقافية لأبناء الأمة العربية هي من الراعي إلى الفيلسوف نفسها ،كما ضرب مثلا عن البريطاني ،فالراعي البريطاني هو نفس الهوية الثقافية التي عنده إلى أن نصل إلى المفكر. [لم] ومن هذا المنطلق وجد مالك بن نبي أن النهضة ستكون في الإنسان ولهذا ركز على مسألة التربية وعلى مسألة الإعداد والتوجيه وتحدث عن عالم الاقتصاد عندما قال بأن الأمن الغذائي له الأولوية وأن أمتنا العربية وعالمنا الإسلامي عنده الخيرات المتراكمة في الزراعة فلنبدأ التنمية من الزراعة أولا ...فلو اجتمعت ليبيا بشساعة تراها ومصر بسواعد أبنائها والكويت بأموالها

المعطلة لأدرك العالم العربي كله أن شروط الإقلاع .والاكتفاء الذاتي هي تحت يده .□□

بالتالي فإن الإنسان هو الفاعل الأساسي في البناء الحضاري لما له من ثقافة تجعله يؤثر بها في المجتمع فهو الوحدة الأساس التي يتشكل منها المجتمع .ويرى بن نبي أن المشكلة الحضارية لا تمثل فيما نملكه من أدوات ،وإنما تتمثل أساسا في جهازنا الاجتماعي الذي هو الإنسان " فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ وإذا سكن ،سكن المجتمع والتاريخ ".□□

إذ اعتبره مالك بن نبي الأصل المركزي في الفعل الحضاري لذا وجب توجيهه فالتوجيه هو قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف فيتجنب بذلك الشخص الإسراف في الجهد والوقت ويشمل بدوره على النواحي الآتية: الأخلاق لتكوين الصلات الاجتماعية والجمال لتكوين الذوق والمنطق العملي لتحديد أشكال النشاط العام وأخيرا الفن التطبيقي أو الصناعة بتعبير ابن خلدون) □ بر وبذلك فإن التوجيه الحضاري الجديد يتطلب التوازن الروحي والمادي ،إنه التوازن الذي يجمع ذات الفرد المشتتة نتيجة للفلسفات المثالية والمادية. وعليه إذا توحدت ذات الفرد يكون قد فسح المجال نحو توحد المجتمع ، لأنه بذلك تتم صناعة شبكة علاقات اجتماعية تعمل على اتوازن بين علاقات الإنسان بأشياء مجتمعه وبين علاقاته مع العقيدة والأفكار التي تنبع منها ضوابط السلوك في المجتمع ،وبقدر ما تنجح هذه العلاقة تبرز حضارة جديدة لأنه "**في الحضارة جانبين : الجانب الذي يتضمن شروطها المعنوية في صورة إرادة تحرك المجتمع نحو مهماته الاجتماعية والاضطلاع بها والجانب الذي يتضمن شروطها المادية للقيام بمهماتها ،أي بالوظيفة الحضارية** " □ بر

لهذا لابد من توفر شرطين ضروريين لكل جماعة بشرية تطمح إلى تشييد حضارة:وهما الإرادة الحضارية وتوفر الشروط المادية التي تمثل الميدان العملي للارتقاء الحضاري وهاذين الشرطين في نظر مالك بن نبي ليسا متساويين في الأهمية وبالتالي" **فالعلاقة النسبية بين الإمكان الحضاري والإرادة الحضارية :علاقة سببية تضع الإرادة في رتبة السبب بالنسبة للإمكان**" ** هكذا فالأمة حين تصاب بالانحطاط والإنحدار،فإنه مهما توفرت الشروط المادية ستكون هذه

الأخيرة من نصيب الشعوب الأخرى ،حيث ستظل الأمة المغلوبة على أمرها تتخبط في مشاكلها ،لأنها لا تملك إرادة التغيير وبناء الحضارة وبالتالي فالأمة التي لا تملك الإرادة الحضارية هي أمة ساكنة إذ أن " لها حياة دون غاية ،فهي تعيش في مرحلة ما قبل الحضارة ". [تر بر]

3.دور الإنسان في صناعة الحضارة :

1.3 :الدور الحضاري للإنسان عند بديع الزمان :

فلقد عمق الفقه النورسي دور الإنسان في صناعة الحضارة وأبرز حقيقة الصلة بين الله والإنسان وجعله خليفة الله في الأرض وأصبح بذلك مفوضا للاستخلاف، وكذلك لمعنى الإنسان الرباني الموصول بالله ،ولمعنى تفضيل الله لآدم على الملائكة، بل نكاد نفهم بالمعنى النورسي إضافات جديدة لمعنى تعليم الله آدم الأسماء كلها فهي ليست مجرد مفردات تتصل بعالم الأشياء أو عالم القيم والمعنويات . أنها قد تتمثل بالقدرات والمواهب الفطرية التي تدفع الإنسان لفتح مغاليق السنن الكونية والاجتماعية وفقهها واستخدامها لتحقيق وظيفة الاستخلاف ولإظهار بعض آثار تجليات أسماء الله الحسنى التي لا تطلق على أحد إلا على هذا الإنسان .... الإنسان المستخلف الإنسان المرآة ... الإنسان الذي يسمح الله له وحده بأن يحمل بعض أسمائه مع محدوديته ونسبيته فيكون بذلك أحيانا الإنسان اللطيف الكريم الحكيم ويكون أحيانا أخرى الإنسان الجبار المتكبر ، إنها مكرمة كبيرة وإنها لأمانة عظيمة ولكن هل يؤدي أمانته وينقذ أمته من وعكاء التخلف ويحقق التقدم ويبني حضارته" فالعناية الإلهية اختارت الإنسان من بين جميع المخلوقات ،وأزالت عنه سبل الجهل بطريق التعليم ورفعت قدره بتحمل الأمانة لذا فإن الإنسان هو ثمرة العالم وأجمع وأبدع مصنوعات القدرة الربانية وأكثرها عجزا وضعفا ولطفا ". [بر بر]

يؤكد النورسي على ضرورة الاستقراء الكوني والانسجام الحركي للإنسان من خلال سعيه للتعمير والنهوض –مع القوانين الفطرية للكون والتأكيد على ماهية العلاقة المتلازمة بين السنن الكونية والقوانين الطبيعية والفطرية ،وحركة الإنسان في الوجود وعمارته في الأرض فيقول "إن من يشق طريقا في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة، لا يستثمر مساعيه ، ولن يكون النجاح

حليفه في أمور الخير والرقي، ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون،بل تكون جميع أعماله في سبيل التخريب والشر "ﷺ هذا الربط بين حركة الإنسان نحو تحقيق النهوض وسنن الكون وقوانينه من شأنه أن يعمق النظر ،ويرسم المنهج السديد في اكتشاف معطيات الكون وسننه ،وربطها بقوانين التشريع الاجتماعي لتحقيق النهضة الشاملة لحضارة الإسلام في ظل الواقع المعاصر يقول النورسي :"إن من أراد التوفيق يلزمه مصافاة مع عادات الله ،ومعارفه مع قوانين الفطرة ،ومناسبة مع روابط الهيئة الاجتماعية ،وإلا أجابته الفطرة بعدم الموفقية جواب إسكات ،أما النواميس العامة الجارية فتقذف من يخالفها إلى صحراء العدم " ﷺ ولعل هذا ما يؤكد استيعاب النورسي ووقوفه على دراسة الحضارات السابقة وأسباب نهوضها وتقدمها ثم انحدارها وسقوطها ،ومرجع السقوط هو تفرعن الإنسان وانحرافه عن طريق السنن الكونية الإلهية ومعارضته لقوانينها وأخلاقياتها الفطرية مما حدا بهذه السنن أن تقذف بجهوده إلى صحراء العدم وفي هذا تلميح إلى ما ستؤول إليه الحضارة الغربية بسبب بعدها عن سنن الكون وقوانينه الإلهية واعتمادها على العقل المادي كرد فعل انتقامي عل الكنيسة وعليه يمكن القول بأن بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله قام بتعريف مفهوم (الحضارة) تعريفا جامعا شاملا مما جعله يستوعب المفهوم ويعالجه بحكمة وعمق شديدين،يركز فيه على الجوانب الوظيفية ،التي يستجلب بها ما ينفع الأسرة الإنسانية ،من المناحي الإيجابية النافعة من التجربة البشرية عموما ،والتجربة الحضارية الغربية على الخصوص، منبها في الوقت نفسه إلى الحضارة الحقة ، والحقيقة بالعناية يستفاد هذا المعنى من قوله :" **إن قصدنا من المدنية هو محاسنها وجوانبها النافعة للبشرية** " ﷺ وقال في موضع آخر:" تسعى المدنية الحقيقية لترقية النوع الإنساني وتدفعه إلى التكامل، وتخرج ماهيته النوعية من القوة إلى الفعل ، لذا فإن طلب المدينة والسعي لها انطلاقا من هذه الزاوية يعد سعيا نحو الإنسانية "ﷺ فيتضح بأن مفهوم المدينة والحضارة لديه رحمه الله، إنما يقاس بما يقدمه من منفعة للبشرية والإنسانية عامة ، والسعي نحو إسعادها سعادة حقيقية من

جميع الجوانب وبذلك جعل النورسي ترقية الجوانب الإنسانية والتكامل بين مكوناتها المادية والمعنوية ركنا أساسيا في تقويم الحضارة والمدنية.

لهذا تقاس الحضارة بما تقدمه للأسرة الإنسانية من جهة رفع إنسانية الفرد والمجتمعات. فحلل هذا بصورة موضوعية وعلمية يجب أن يعتنى بها من لدن المهتمين بالدراسات العلمية خاصة المتخصصة عن الحضارة الإسلامية.

2.3 . - صناعة الحضارة عند مالك بن نبي :

كما تمثل فكرة الحضارة عند مالك بن نبي الأصل الأعظم الذي قامت عليه وانطلقت منه كل أعماله الفكرية وبعبارة أخرى كما تؤكد بعض الدراسات أن الحضارة هي وحدة التحليل الأساسية في منظوره لتناول مشكلات الإنسان والمجتمع والحضارة في بلاد العرب والمسلمين بل وفي التاريخ البشري برمته والمتأمل في هذه الفكرة وكيف عرضها بن نبي وتناولها بالدراسة والتحليل يفيدنا بأنه تناولها في سياقات متعددة ومختلفة ومن هنا فإن تحليلنا لفكرة الحضارة ينبغي أن يتم انطلاقا من السياق الذي يعثر عليها فيه ليتم لنا فهم المعنى المراد في السياق الذي عثرنا فيه على الفكرة .

فالحضارة طموح مشروع لكل البشرية، وان اختلفت الروافد والمرجعيات إلا أن الغاية واحدة والمطلب واحد ،لذا وجب علينا قراءة هذا المفكر واستخلاص ما هو قيم حقا في فكره باستقراء طريقته واستنطاق رؤيته لمشكله الحضارة وتحليلها والغوص في عمق هذه القضية .انطلاقا من قول مالك بن نبي:«إن مشكلة كل شعب في جوهرها مشكلة حضارته ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبنى الحضارات أو تهدمها ».[1]

ومن هنا عمد مالك بن نبي إلى دراسة عوامل قيام الحضارة وعوامل انهيارها متأثرا في هذا بأشهر من كتب في الموضوع من مفكري الشرق والغرب أمثال عبد الرحمان ابن خلدون وكيسرلينغ وارلوند توينبي وشبنجلر وقبل تحليل أهم العوامل الفاعلة في نظر مالك بن نبي في سير الحضارات وتوقفها لابد من تحديد أهم المصطلحات التي تناولها والتي لها صلة بموضوعنا وأبرزها :الحضارة ،الثقافة ،المجتمع .

إذا كان مصطلح الحضارة قد تصدر جل عناوين مؤلفات بن نبي تحت ما أسماه بمشكلات الحضارة فإن مصطلحي المجتمع والثقافة تردد استخدامهما بكثرة في معظم صفحات كتبه وخصص للثقافة كتابا بعنوان "مشكلة الثقافة "وآخر بعنوان "ميلاد مجتمع " ومن الطبيعي أن تكون الصلات وثيقة بينهم ذلك أن المجتمع هو صانع الثقافة والحضارة وهذه بدورها تصبغه بطابعها الخاص ومنه نجد أن مالك بن نبي يقدم لنا تعريفين للحضارة :

وفيه يقول :«يمكن تعريف الحضارة من جانبين أحدهما وظيفي والآخر بنيوي (تركيبي) يستند الأول منهما إلى الوظيفة الموكلة للحضارة وهو أن الحضارة في الواقع هي جملة من الشروط المادية والمعنوية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل فرد من أعضائه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدمه ».□ تر أما التعريف الآخر فيرتبط ببنية الحضارة الداخلية على أساس أنها مركب يحوي ثلاثة عناصر أساسية يعرضها بن نبي بأسلوب رياضي على الشكل التالي: «حضارة =إنسان +تراب +وقت» وهذان التعريفان يكمل أحدهما الآخر □ تر .

كما نجده يربط بين الحضارة والثقافة في تشكيل الفرد وتكوينه يقول « نربط ربطا وثيقا بين الثقافة والحضارة وفي ضوء هذا الربط تصبح الثقافة نظرية في السلوك فهي بذلك المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعة وشخصيته ، المحيط الذي يعكس حضارة معينة والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر ».بر تر

وعليه فالثقافة في مهمتها التاريخية تقوم بالنسبة للحضارة بوظيفة الدم بالنسبة للكائن الحي ... تر تر كما "لا يمكن إغفال العلاقة المتشابكة القائمة بين مفهومي الحضارة والمجتمع فلقد وقف عند مفهوم المجتمع مطولا فلا نجده يكتفي بتحديده تحديدا وصفيا وإنما عمد إلى تحديده تحديدا جدليا أو كما يقول "ينبغي أن نحدد المجتمع في نطاق الزمن ".بر تر ومن هنا "فإن المجتمع هو الجماعة التي تغير دائما خصائصها الاجتماعية بإنتاج وسائل التغيير مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه من وراء هذا التغيير. « وهذا التعريف في نظره ينطبق على ما يسميه بالمجتمع التاريخي في مقابل المجتمع الطبيعي أو البدائي...وهو الذي لم يعدل بطريقة محسوسة المعالم التي تجدد شخصيته منذ كان.

فإن المجتمع التاريخي هو الذي ولد في ظروف أولية لكنه عدل من بعد صفاته الجذرية إبتداءا من الحالة الأولية طبقا لقانون التطور وكمثال على المجتمع الطبيعي نجد في وضعية بعض القبائل نموذجا لهذا النوع من المجتمعات مثل القبائل العربية في العصر الجاهلي "[سهتر] فمثل هذه الجماعة الإنسانية لم تسع لتغيير ذاتها بل ظلت ساكنة والجماعات الساكنة كما يرى بن نبي "لها حياة اجتماعية دون غاية فهي تعيش في مرحلة ماقبل الحضارة "[□تر] أما المجتمع التاريخي هو" تنظيم معين يتم طبقا لنظام معين وهذا النظام في خطوطه العريضة يقوم على عناصر ثلاثة وهي حركة يتسم بها المجموع الإنساني وإنتاج لأسباب هذه الحركة وثالثا تحديدا لاتجاهها فهذه العناصر في نظر مالك هي المقياس الأساسي لإطلاق صفة مجتمع على جماعة إنسانية معينة لأنها العوامل الأساسية التي تجعلها تسير نحو شكل من أشكال الحياة الراقية ،وهو ما نطلق عليه اسم حضارة". [لهتر] ومن هنا تتضح لنا الروابط الوثيقة بين مفاهيم الحضارة والثقافة والمجتمع وحالة التأثير والتأثر المتبادلة بينهم .

وعليه يمكن أن ننتهي إلى مفهوم الحضارة الذي ينبثق عنه هذا التصور« الحضارة هي: نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره لحضارته وعلى هذا النحو تتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل يتحكم بدوره في جميع خصائصه التي تميزه عن الثقافات والحضارات الأخرى ».[□تر]

نلاحظ من خلال هذا التعريف أن أساس الحضارة هو الأفكار في نظر مالك بن نبي، فهو يرى مثلا أن للفكرة المسيحية الفضل في دخول أوربا التاريخ ولكن من الواجب أن يكون للأفكار دورا وظيفيا ليدخل مجتمعا ما في التاريخ لأن الحضارة في رأيه هي القدرة على القيام بوظيفة أو بمهمة معينة يقول : " ويمكن تعريف الحضارة في الواقع بأنها جملة العوامل المادية والمعنوية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل فرد من أعضائه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدمه".[□تر] ونلاحظ بأن هذا المفهوم يخالف مفهوم علماء الأنتروبولوجيا الذين يعتبرون أن كل شكل من أشكال التنظيم للحياة البشرية حضارة .فإذا

أخذنا بعين الاعتبار هذا المفهوم كيف يمكننا أن نفرق بين ما هو حضاري وغيره .

ونستنتج أن مالك بن نبي درس مفهوم الحضارة من ثلاثة نواحي :

من حيث تركيبها أي من حيث العناصر الأساسية التي تتكون منها الحضارة وأيضا من الجانب الوظيفي باعتبار وظيفة الحضارة في المجتمع "نظرة وظيفية " وثالثا من الناحية التاريخية والاجتماعية أي كيف تنشأ الحضارة وترتقي ثم تنحط بمعنى آخر كيفية تطور الحضارة .

من حيث تركيبها فتتكون الحضارة في بنيتها الداخلية على أساس أنها مركب يحوي ثلاثة عناصر أساسية يعرضها مالك بن نبي بأسلوب رياضي ورأى بأنها هي التي تشكل باجتماعها أولا وبتفاعلها ثانيا ظاهرة الحضارة وهي على الشكل الآتي : كل ناتج حضاري تنطبق عليه الصيغة التالية :ناتج حضاري =إنسان+تراب+وقت فلكي نقيم بناء حضارة لا يكون ذلك بتكديس منتجاتها وإنما بحل المشكلات الثلاثة من أساسها .

1 -الإنسان : وهو المرتكز الأول والأساس في البناء والتقدم والرقي وبه ومن خلاله يتحقق المطلوب هدفا وغاية فهو جوهر العملية الحضارية .

2 -التراب : أي كل ما يحيط بالإنسان من أشياء مادية وغير مادية ويرتبط بقيمة مالكيه فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب غالي القيمة وحين تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدرها من الانحطاط .

3 -الوقت: وهو أن العامل الزمني مهم جدا فإذا استغليناه ارتفعت كمية حصادنا العقلي والروحي واليدوي وهذه هي الحضارة.فهذا فعل لا تعيه سوى الأمم المتحضرة .

فاعتبر مالك بن نبي أن هذه العوامل أساسية وفيها "ينحصر رأس مال الأمة الاجتماعي الذي يمده في خطواتها الأولى في التاريخ " وما ينبغي إضافته إلى هذا هو أن فاعلية هذه العناصر الثلاثة لا تبدأ إلا بوجود ما يسميه مالك بن نبي "بمركب الحضارة "«أي العامل الذي يؤثر في مزج هذه العناصر بعضها ببعض وهذا المركب ليس شيئا آخر سوى "الفكرة الدينية "التي رافقت

دائما تركيب الحضارة من خلال التاريخ فهذه الأخيرة هي العامل الذي يمزج هذه العناصر الثلاثة فيكون منها حضارة» [تر يز].

لقد ركز مالك بن نبي على الفكرة الدينية وربط بينها وبين جميع أوجه النشاط الحضاري، فهو يجسد لنا حقيقة العلاقة بين الدين والنشاط الحضاري ويبرهن على الرابطة الموجودة بين نوازع الفرد من جهة ، وبين الوسط المجتمعي من جهة أخرى ساعيا إلى صياغة جديدة لمشكلات المسلك المعاصر بوصفها قضية حضارة أولا وقبل كل شيء.

فيمكن القول أن جذور أزمة الانحطاط الذي يعاني منه العالم الإسلامي تكمن في تخليه عن الفكرة الدينية فأصبحت غير مؤثرة فيه وعودة الروح إلى هذا العالم لن تتم إلا بعودته إلى دينه.

فهذا التفاعل يخلق ديناميكية للمجتمع تجعله يحافظ على استمرار يته ومسايرته للتطورات الحادثة. وبذلك فإن :"الدين يجعل من الإنسان العضوي وحدة اجتماعية ويجعل من الوقت الذي ليس سوى مدة زمنية مقدرة بساعات تمر،وقتا اجتماعيا مقدرا بساعات عمل، ومن التراب الذي يقدم بصورة فردية مطلقة غذاء الإنسان في صورة استهلاك بسيط ، مجهزا مكيفا تكييفا فنيا يسد حاجات الحياة الاجتماعية الكثيرة ". [تر يز]

فإن هذه الصورة النظرية التي تعكس أثر الفكرية الدينية في بناء الحضارة تجسدت بكل معطياتها في حالة الحضارة العربية الإسلامية قبل أن تدخل هذه الأخيرة في حالة الانحطاط الذي تفككت فيه شبكة العلاقات الاجتماعية بعد أن كف المسلم عن التزود بالفكرة الدينية فكفت هذه الأخيرة عن منحه تلك الشرارة الروحية التي زودته بها في لحظة الميلاد وهذا يعني أن مسيرة الحضارة لا تستمر على وثيرة واحدة وبالفعل فإن مالك بن نبي يعتبر ظاهرة تخلف العالم الإسلامي ظاهرة حتمية وهذا بناءا على نظريته في دورة الحضارة .

1.2.3:الدورة الحضارية وأطوارها :

لقد سبقت الإشارة بأن ميلاد مجتمع يبدأ عندما يحدث التركيب بين كل من الإنسان والتراب والوقت كما تمت الإشارة إلى أن هذا التركيب لا يحدث إلا بفعل الدور الذي تقوم به الفكرة الدينية في تفعيل العلاقة بين العناصر الثلاثة

ليستحيل مشروعا يتحرك في الواقع التاريخي نحو البناء الحضاري هو الأصل في ظاهرة الميلاد التي يؤرخ لبدء دورة الحضارة . ولهذا فالظرف الاستثنائي الذي يسجل نقطة الانطلاق في تاريخ مجتمع معين منها يتفق في الحقيقة مع ظهور فكرة دينية من فجر حضارة معينة ومن هنا فإن أي مجتمع من المجتمعات يمر أثناء تاريخه الطويل عبر مراحل تاريخية كبرى كل مرحلة من هذه المراحل تتجلى في جملة من الخصائص والمقتضيات الفكرية والنفسية والاجتماعية التي تميز المجتمع من مرحلة إلى أخرى وتتمثل هذه المراحل فيما يأتي :مرحلة الروح ،مرحلة العقل مرحلة الغريزة فلقد ميز بن نبي بين ثلاث مراحل تاريخية في حياة المجتمعات المتحركة .

1) مرحلة ما قبل الحضارة:مثل المجتمع في العهد الجاهلي
2) مرحلة الحضارة : مثل المجتمع العربي الإسلامي في عصور ازدهاره
3) مرحلة ما بعد الحضارة:أو كما يسميه مالك بن نبي مجتمع ما بعد الموحدين مثلما هو عليه واقعنا العربي الإسلامي المتخلف اليوم .

فالحضارة في نهاية المطاف هي نتاج طبيعي لحركة اجتماعية واعية سهر على تجسيد خاصيتها ،وفلسفتها في إثبات أحقيتها بالدور المنوط لها منهجا ومسارا والغاية كل الغاية في تأصيلها ،والعمل على التبشير بها والتمكين لها ما استطاعت هذه هي الحركية الاجتماعية .

فالبعد الإنساني الشامل هدف من أهداف الحضارة الواعية ذات الروافد المعرفية والدينية والعلائقية لأن التأثير والتأثر عنصر وارد ومحفز أيضا إذا ما تم أخذه بعين الاعتبار ولهذا فإن أي جماعة بشرية تكسب صفة المجتمع عندما تشرع في الحركة أي عندما تبدأ في تغيير نفسها من أجل الوصول إلى غايتها وهذا يتفق من الوجهة التاريخية مع لحظة انبثاق حضارة معينة أما الجامعات الساكنة فإن لها حياة دون غاية فهي تعيش في مرحلة ما قبل الحضارة وخلاصة القول :"أن الطبيعة توجد النوع،ولكن التاريخ يصنع المجتمع وهدف الطبيعة هو مجرد المحافظة على البقاء بينما غاية التاريخ أ يسير بركب التقدم نحو شكل من أشكال الحياة الراقية وهو ما نطلق عليه اسم حضارة" [3]

نتائج البحث : مما سبق يخلص هذا البحث إلى النتائج التالية:

_ نرى أن النورسي ينظر إلى الإنسان بشمولية متكاملة ، فتكاملية الإنسان عنده تبدو من خلال تكوينه التكاملي الذي يشمل على :التكوين العقائدي والفكري المعرفي الذي تستقيم به رؤيته ونظرته للكون والحياة بحثا عن الحق والخير والتكوين النفسي الذي به يبذل جهده من أجل تحقيق مشروعه الإستخلافي في الحياة والتكوين السلوكي والعملي وأخيرا التكوين الاجتماعي والثقافي الذي يجعله مواكبا للتطورات وغير معزول عن تيار الوعي العالمي ومعتزا بثقافته وتراثه وتاريخه فتكاملية الإنسان عند النورسي تعني هذه الصفات مجتمعة في وحدة منهجية شاملة بحيث تتجسد واقعا حيا في تفاعلاته الحياتية ،فيكون بذلك معبرا عن حقيقة المنهج الإسلامي ونموذجا للإنسان الرسالي الكامل ولعل هذا مايمثل مركزية الإنسان في الفكر النورسي كما نجد أيضا هذا البعد التشخيضي التصحيحي التكاملي في طرح بن نبي ورؤيته للإنسان فقد شخص حالة الإنسان وصحح مقوماتها وأعطى الحلول لتقدمه وتطوره صناعة وتشيدا .فصناعة الإنسان هي أسمى صناعة تقدمها الدول لتقوم بنهضتها وفق أسس راقية ومتينة.

_ لتحول المجتمع من وضع متخلف إلى آخر متقدم يستدعي دخول ذلك المجتمع في دورة حضارية متمثلة في عنصرين هما الإرادة الحضارية والإمكان الحضاري وذلك بمنهج علمي وهي التي طبقها مالك بن نبي فبتحليله النظري توصل إلى أن كل حضارة ما هي إلا :

إنسان + تراب + وقت= حضارة

بحيث يمثل الإنسان الجهاز الاجتماعي فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ ،فمشكلة العالم الإسلامي إنما تنبع من الإنسان وإليه تعود كما رأى بن نبي أنه يمثل قيمتين :الأول ثابتة لا تتأثر بالتاريخ وهو كونه كائنا بشريا حباه الله بالتكريم والثانية متغيرة كونه كائنا اجتماعيا.

_نجد الإنسان يؤثر في حركة المجتمع بثلاث مؤثرات وهي :بفكره وبيده وبماله وبالرغم من وجود هذه العناصر الثلاثة إلا أنه لابد أن تكون هناك عناية بثقافة وفكر الإنسان من أجل خلق فعالية قصوى كما لابد من العناية بماله

من أجل استثمار اجتماعي منتج ،فالمجتمع الذي يساهم في تكوين بناء عالمه من خلال ثقافة لها آفاق بإمكانه أن يقوم بإنجاز تركيب حضارة . فتوجيه قدرات الإنسان بهذه العناصر الثلاثة إنما تتم في نظر بن نبي من خلال التوجيه الثقافي فالثقافة هي الدم في جسم المجتمع فمحاولة إصلاح أي مجتمع إنما يبدأ بثقافته والتي تعتبر السبيل الأول للوصول إلى الحضارة.

_قانون التغيير الاجتماعي لدى كل من المفكرين ينصب على الإنسان فهو العنصر الجوهري الذي يتغير بواسطة الدين ويغير هو بدوره المحيط الاجتماعي كما أن للدين الدور الأساسي في الإنشاء الحضاري فكلما ابتعدنا عن الدين واقتربنا من الشهوات والغرائز انهارت الحضارة .لذلك نجد بأن بديع الزمان سعيد النورسي يوجه أنظارنا إلى التعامل مع القرآن والسنة أثناء سعينا للتقدم والنهوض لأنهما يحتويان على كل ما يعين الإنسان على التقدم والنهوض ولأنهما تضمنوا على مبادئ حضارية كلية ومطلقة وعل أسس لا تتغير بتغير الزمان والمكان . ومن خلال هذا نلاحظ التقارب في الأفكار مابين بديع الزمان ومالك بن نبي إلا أن النورسي انطلق في تحليله المنهج القرآني ومالك بن نبي بحكم تكوينه الرياضي نجده يستخدم المفاهيم العلمية في تنظيراته واعتماده على المنهج الجدلي لتفسير حركة التغيير في الإنسان والمجتمع .

الهوامش :

[1] - ولد سعيد النورسي سنة 1877 في قرية نورس التابعة لولاية بتليس الواقعة في شرق الأناضول بكردستان تركيا من أبوين كرديين والده ميرزا بن علي ووالدته نوريه بنت ملا طاهر وكان مضرب المثل والتقوى والورع من أشهر مؤلفاته رسائل النور منها المكتوبات،اللمعات، الكلمات ،صيقل الإسلام، الشعاعات ،الملاحق في فقه دعوة النور....توفي سنة 1960ودفن في مدينة أورفة.انظر كليات رسائل النور : سيرة ذاتية , تر إحسان قاسم الصالحي، ص35_40.

[2] - سورة التين، الآية 4.

[3] - سورة البقرة، الآية 30.

[4] - سورة ص، الآية 71 -72.

[5] - سورة هود، الآية 7.

[6] - أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،تحقيق عبد السلام محمد هارون ,ط1، ، دار الجيل، بيروت، 1991، ص280.

[7] - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ص166.

[8] - النورسي، الكلمات، تر احسان قاسم الصالحي ،اسطنبول، سوزلر للنشر،ط1،1992، ص418.

[9] - محمد قطب : محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ط 9، دار الشروق، القاهرة، ، ص25.

[10] -عادل العوا، الإنسان ذلك المعلوم، ط 2، ، منشورات عويدات، بيروت باريس، 1982م، ص200 -203.

[11] - محمد قطب، مرجع سبق ذكره ، ص26.

[12] - عادل العوا، المرجع نفسه ، ص206.

[13] _ مالك بن نبي ، النجدة ،المطبعة العالمية ،القاهرة ،1997،ص5.

[14] _قرواز الدودي ،فلسفة التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي ،مجلة العلوم الاجتماعية العدد 19،25ديسمبر 2014،ص9.

[15] – مالك بن نبي، النجدة ،مصدر سبق ذكره ، ص23 -24.

[16] - مالك بن نبي ،ميلاد مجتمع ،تر عبد الصبور شهين ،دار الفكر ،دمشق ،سوريا ، ط1،1981 ،ص24.

[17] -بن جلطي محمد ،مالك بن نبي من نقد العقل إلى نقد الفعل ،مجلة دراسات انسانية، جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم ،2015 ،ص27

[18] - المرجع نفسه ،ص29.

[19] -مالك بن نبي ،تأملات ،تر عمر مسقاوي ،دار الفكر ،سوريا ،ط1989،ض59.

[20] –مالك بن نبي ،ميلاد مجتمع ،المصدر السابق،ص87.

[21]–مالك بن نبي ،المسلم في عالم الاقتصاد ، دار الفكر ،دمشق 1979،ص63.

[22]–مالك بن نبي،ميلاد مجتمع ،مصدر سبق ذكره ،ص 63.

[23]– مالك بن نبي ،ميلاد مجتمع، المصدر السابق ،ص16.

[24] _النورسي ،الشعاعات، تر احسان قاسم الصالحي ،دار سوزلر للنشر ،اسطنبول،القاهرة، 2004، رسالة الثمرة ،ص 257،260.

[25] - النورسي ،اللمعات ،تر احسان قاسم الصالحي ،دار سوزلر للنشر ،اسطنبول،القاهرة، 2004، ص257.

[26] - النورسي ،صيقل الإسلام ،تر احسان قاسم الصالحي ،دار سوزلر للنشر، اسطنبول،القاهرة ،2004،ص149.

[27] - النورسي ،صيقل الإسلام /الخطبة الشامية ص500 -501.

[28] -المصدر نفسه ،المحكمة العسكرية العرفية ،ص462.

[29] – مالك بن نبي ،شروط النهضة ،تر عبد الصبور شاهين ،دمشق،دار الفكر ،1968، ص19.

[30]– مالك بن نبي ،مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،تر محمد عبد العظيم علي، دار الفكر 1979 ،ص42.

[31] –مالك نبي ،شروط النهضة ،ص 45.

[32] –مالك بن نبي ،شروط النهضة ، ص 83.

[33] –مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ،تر عبد الصبور شاهين ،دار الفكر دمشق ،1979، ص104.

[34]– مالك بن نبي ،ميلاد مجتمع ،المصدر السابق ، ص15.

[35]–المصدر نفسه ،ص9.

[36]– مالك بن نبي ،ميلاد مجتمع ،ص18.

[37]– مالك بن نبي ،ميلاد مجتمع ،ص 17 -18.

[38] - مالك بن نبي ،وجهة الأفكار في العالم الإسلامي ،تر محمد عبد العظيم علي، دار الفكر 1979 ،ص49.

[39] - المصدر نفسه ،ص49 .

[40] – عمار طالبي ،محاضرة جامعية ،1412، 1978 .

[41] – مالك بن نبي ، شروط النهضة ،45.

[42] - مالك بن نبي ، شروط النهضة ،ص50.

[43] -مالك بن نبي شروط النهضة ،ص45 -46 -50

[44] –مالك بن نبي ،وجهة الأفكار في العالم الإسلامي ،ص 32.

[45] – مالك بن نبي،ميلاد مجتمع ،ص76.

المراجع :

القرآن الكريم

الكتب :

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
2. أحمد ابن فارس،(1991)، معجم مقاييس اللغة،تحقيق عبد السلام محمد هارون،دار الجيل، بيروت.
3. النورسي ،(2004)،الشعاعات، تر احسان قاسم الصالحي ،دار سوزلر للنشر اسطنبول،القاهرة ،رسالة الثمرة .
4. النورسي،(1992)، الكلمات، ، دار سوزلر،اسطنبول، تر إحسان قاسم الصالحي
5. النورسي ،(2004)،اللمعات ،تر احسان قاسم الصالحي ،دار سوزلر للنشر اسطنبول،القاهرة.
6. النورسي،(1992) : سيرة ذاتية، دار سوزلر،اسطنبول، تر إحسان قاسم الصالحي.
7. النورسي ،(2004)،صيقل الإسلام ،تر احسان قاسم الصالحي ،دار سوزلر للنشر، اسطنبول،القاهرة .
8. عادل العوا،(1982)، الإنسان ذلك المعلوم، ، منشورات عويدات، بيروت - باريس.
9. عمار طالبي،(1978) .محاضرة جامعية ،جامعة الجزائر.
10. مالك بن نبي ،(1979)،المسلم في عالم الاقتصاد ، دار الفكر ،دمشق .
11. مالك بن نبي ،(1997)، النجدة ،،المطبعة العالمية ،القاهرة .
12. مالك بن نبي ،(1989)،تأملات ،تر عمر مسقاوي ،دار الفكر ،سوريا .

13. مالك بن نبي ،(1968)،شروط النهضة ،تر عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ،دمشق.
14. مالك بن نبي ،(1979)، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،تر محمد عبد العظيم علي، دار الفكر،دمشق.
15. مالك بن نبي ،(1979)، مشكلة الثقافة ،تر عبد الصبور شاهين ،دار الفكر، دمشق
16. مالك بن نبي، (1981)،ميلاد مجتمع ،تر عبد الصبور شهين ،دار الفكر ،دمشق ،سوريا
17. مالك بن نبي : (1981)،وجهة العالم الإسلامي ، ،تر عبد الصبور شهين ،دار الفكر دمشق، سوريا،
18. محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق، القاهرة .

مقال في مجلة:

1. بن جلطي محمد ،(2015)،مالك بن نبي من نقد العقل إلى نقد الفعل ،مجلة دراسات انسانية، جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم ،ص27
2. قرواز الدودي ،2014 ،فلسفة التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي ،مجلة العلوم الاجتماعية العدد 25،ص9.